الإصلاح المؤجل

العالم يتغير: كيف نصنع مستقبلنا؟

❑ محمد التفراوتي

■ جانب من منتدى الإصلاح الذي نظمته مكتبة الإسكندرية

أضحى مفهوم الإصلاح العربي مدخلا واعدا لصناعة المستقبل العربي وقناة أساس لفض الاحتباس الحضاري المتجمد، وإعادة تجديد دمائه نحو عالم متغير متجدد ومتوهج بشبابه ووثاب بمفكريه وأطره.

التغير المناخي، الثروة الرقمية، الواقع العربي والعلاقات العربية: مداخل يستوجب سبر أغوارها تمحيصا وجسا ثم رؤية لتحديد موقف عربي موحد لولوج آفاق المستقبل المتحول والانخراط الحضاري الشامل مع صيرورة التطور المضطرد للبشرية في مختلف مناحيها وأبعادها الإنسانية. وفق تقبل التعددية والانفتاح وكذا إدماج البعد العلمي والعقلاني والمنهج العلمي في التفكير العربي.

وفي نفس السياق، حذا الاجتماع السنوي السابع لمنتدى الإصلاح العربي المنظم من قبل مكتبة الإسكندرية إلى مقاربة دور العرب في تشكل العالم من جديد وموقع العرب نحو مستقبل أفضل من اجل صياغة سيناريوهات الغد العربي.

وأفاد الدكتور إسماعيل سراج الدين، خلال كلمته الافتتاحية، أن العرب قادرون على طرح رؤى مستقبلية تساير ما يعتري العالم من تغيرات سريعة متسائلا عن مدى إمكانية العرب لصياغة العالم الجديد. و منتقدا غياب فعالية الدور العربي في ظل الظروف التاريخية المتغيرة. واستعرض الدكتور اسماعيل سراج الدين، مدير مكتبة الإسكندرية، الخريطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للعالم وتموقع للعالم العربي في ظل التغيرات المختلفة في النظام السياسي والتحولات الدولية المتسارعة بدءا بالحرب الباردة والهيمنة الأمريكية على العالم ودخولها في حروب مستمرة في أفغانستان والعراق، وعدم استفادتها من حكمة نابليون بونابرت كأشهر من خاض الحروب في العالم، والمتمثلة في " القوة لا تحقق شيء.. في النهاية دائماً العقل يهزم السيف"

وأشار لدكتور سراج الدين إلى مبادرة الرئيس أوباما المتمثلة في ضخ 800 بليون دولار لحل الأزمة المالية للشركات الأمريكية وتحرير الاقتصاد الأمريكي، مستنتجا مدى الترابط بين الاقتصاد العالمي ككل. وساق بالشرح والتحليل الخريطة السياسية والاقتصادية العربية والدولية.

من جهة ثانية، أفاد الدكتور أسامة الغزالي حرب، عن حزب الجبهة الديمقراطية، أن إشكالية الوطن العربي تنبع من إشكالية التعليم وتناولت الدكتورة آمال فرامي تمركز العرب على الذات وعدم مسايرة التحولات الكبرى على المستوى المعرفي وتكنولوجيا مقارنة مع قضية الهوية الدينية أو التاريخية أو الثقافية المعتبرة ضمن كأولويات.

واعتبرت أن الديمقراطية مرتبطة والتنشئة الاجتماعية وتجارب قطاع التعليم غير الناجحة والمتناقضة في لآن واحد.منوهة بالديمقراطية الإلكترونية وذلك لكونها من إرهاصات الديمقراطية في العالم العربي وكمتنفس للشباب من خلال مواقع التواصل الاجتماعي و المدونات....

وتناول الدكتور حرب إشكالية الديمقراطية كأحد العوامل المؤثرة في تشكيل المجتمعات المتقدمة؛ حيث إن هناك تلازما قويا بين الإنجازات العلمية والاقتصادية والثقافية، وبين الديمقراطية، مضيفا أن ما يميز الولايات المتحدة الأمريكية عن أوروبا هو أنها دولة نشأت على فكرة وقيمة الحرية.

بالمقابل، سلط الدكتور حسام بدراوي الضوء على نتائج الأنظمة التعليمية بالمجتمعات العربية وانعدام روح المبادرة والإبداع، مع ضمور التسامح وقبول الآخر وذلك بفعل المناهج التي رسمناها لأنفسنا، إذ أن التعليم والعلوم والتكنولوجيا يعد المدخل الرئيسي لوثيقة الإسكندرية للإصلاح العربي والتي صدرت عن المؤتمر الأول للإصلاح العربي عام 2004، وشارك في صياغتها أكثر من 100 عالم ومفكر من 18 دولة عربية.

وأبرز لدكتور فكرة تداول السلطة والمساءلة كأداة لتغيير المجتمعات العربية ويوجهها للديمقراطية؛ لكون استدامة السلطة دون مساءلة ينتج عنها فضاءات الفساد المختلفة مستشهدا بقصيدة نزار قباني مند سبعينات القرن الماضي حول الحال العربي، توازي في مضمونها المشهد الأمة العربية. وطالب الدكتور حسام بدراوي الدولة بالمحافظة على الهوية واللغة والتاريخ والمواد التربوية الهوية.

وأكدت الدكتورة آمال فرامي إلى عدم إمكانية وضع وصفة تسقط على كافة المجتمعات، ذلك أن المجتمع العربي يوجد به نماذج مختلفة عن الأخرى. ودعا الدكتور أسامة الغزالي حرب،في نفس السياق، إلى تأمل ودراسة النموذج التركي والإندونيسي مقارنة مع العالم العربي و الصراع العربي الإسرائيلي و الثروة النفطية.

وشهد اليوم الثاني من الاجتماع السنوي السابع لمنتدى الإصلاح العربي جلسة عامة لمناقشة كيفية صنع المستقبل العربي في ظل عالم متغير، فضلا عن عقد عدد من الجلسات المتوازية قاربت "نظرة على الوضع الإقليمي العربي"، و"الثورة الرقمية"، و"التغيرات المناخية".

وتحدثت الكاتبة راغدة درغام من زاوية سياسية عن دور العالم العربي في ظل التغيرات السياسية التي تحدث في العالم الآن خاصة بعد انتخاب بارك أوباما ليكون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية واتخاذ الدول مواقف تتراوح بين التلهف وخيبة الأمل تجاه حكم أوباما.

وأشارت إلى عدم وجود عالم عربي موحد في هذا الخصوص، فمعظم الدول تتقبل الواقع الجديد والسياسيات الحالية من أجل حماية نفسها. وأكدت على أهمية أن يكون للدول العربية دور أساسي في إعادة تشكيل العالم الجديد، وذلك من خلال تبني إستراتيجية أساسية وهي التحدث بلغة المصالح مع الدول المحايدة.

وأفادت درغام أن بعض الدول العربية في حالة إنكار تام عند النظر إلى قدرتها على المساهمة في تشكيل العالم الجديد دون النظر إلى الوضع العربي الداخلي أولا. وأكدت أن التحدي الأكبر الذي يواجه تلك الدول الآن هو قدرتها على إعطاء المرآة حقوقها، فلا يوجد دولة مؤهلة أن تكون فاعلة وهي تبعد المرأة عن مناصبها وحقوقها.

وعن قدرة العالم العربي على التفاعل مع العالم الخارجي، قال الدكتور ماجد عثمان إن العرب يتمتعون بالصدارة بين الدول الغربية فقط في معدلات الزيادة السكانية. وأكد أن كل المؤشرات توضح أن الزيادة السكانية في الدول العربية يتزايد بشكل كبير وقد تصل في المستقبل إلى 600 مليون نسمة عام 2050، بحيث يتساوى عدد سكان العالم العربي مع عدد سكان دول أوروبا.

وأضاف أن الهرم السكاني في أوروبا يتجه نحو الشيخوخة، في حين أن الهرم السكاني للعالم العربي المتوقع عام 2050 هو هرم شاب مما يعتبر فرصة ذهبية لدفع الشعوب العربية نحو استغلال الطاقات الشبابية وزيادة الإنتاج.

وأوضح أن هذه أن هذه الشريحة الشبابية قد تمثل عبء ثقيل في المستقبل إذا لم يتم استغلالها بطريقة سليمة من خلال تطوير التعليم لتنمية القدرات والمهارات.

وأكدت رهف حرفوش من خلال تجربتها في المشاركة في الحملة الانتخابية للرئيس الأمريكي باراك أوباما، والتي اعتمدت من خلالها على الإنترنت والمواقع الاجتماعية مثل الفيس بوك، وتويتر من أجل الترويج لبرنامج أوباما الانتخابي والتواصل مع الناخبين، أن الاعتماد على التكنولوجيا تمكن الشباب من تجنيد أفراد عاديين من الناخبين للترويج للحملة بجهودهم الذاتية، كما تمكنت الحملة من جمع تبرعات بقيمة 400 مليون دولار من المبالغ الصغيرة المقدمة لدعم الحملة من خلال الإنترنت. مشددة على كون الانترنت يتيح الآن مجال واسع للتواصل والترويج للأفكار وإقامة المشروعات دون الاستعانة بوسائل الإعلام التقليدية، مؤكدة أن العالم العربي يمكنه الاستفادة من تلك التجربة للقيام بدور أكثر فاعلية في العالم الجديد في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

وتناولت جينيفر كوريرو، تجربتها في إنشاء منظمة "تاكينج آي تي جلوبل" TakingITGlobal، وبرنامج "شباب من أجل التغيير" الذي تقيمه المؤسسة بالتعاون مع مكتبة الإسكندرية.

وقالت إن" المنظمة تعمل مع شباب من أكثر من 15 دولة عربية وهي ملتزمة بإيجاد مساحات يعبر فيها الشباب عن رأيه ويجد فرص للتعليم والإبداع وإيجاد فرص عمل".

وأكدت على ضرورة أن تتفاعل الحكومات العربية مع الشباب وأن توفر لهم الفرص لاستغلال طاقاتهم وإبداعاتهم بشكل إيجابي، وذلك من خلال تفعيل الشراكة بين الشباب العربي وإنشاء برامج متطورة لتعليم وتدريب الشباب وتطوير برامج لتقديم منح صغيرة للشباب المبدع للاعتراف بأهمية المشاركات الايجابية للشباب العربي في تطوير المجتمع.

وفي هذا الإطار، قال أيمن الصياد إنه لا يظن أن العالم العربي يتبع منهجا اقصائيا للشباب، مشيراً إلى أن معظم المؤسسات الثقافية والمجتمعات العربية تعترف بأن الشباب هو الذي يتبوأ دوراً فاعلاً في هذه المجتمعات.

وأشار أن التجارب الناجحة في المؤسسات الثقافية العربية مثل مكتبة الإسكندرية ومؤسسة قطر هي التي توفر أكبر عدد من البرامج التي تحتوي طاقات الشباب.

وتناقش المشاركون حول محور "نظرة على الوضع الإقليمي العربي" عبر ثلاثة جلسات عالجت قضايا هامة من قبيل موضوع" حالة العلاقات العربية" وموضوع: تأثير العلاقات الإقليمية على حالة الحوار الداخلي، في حين ناقشت الجلسة الثالثة موضوع: دور الإعلام العربي في الخلافات العربية –العربية.

وقالت أم العز الفارسي، في الجلسة الأولى التي أدارها قدري حفني، أنه بعد ما يزيد عن 20 عاما لا يزال الوطن العربي يعيش حالة من التجزئة، إلى أن بدأت بعض الدول فعلاً في الانقسام. وأكدت على أهمية التكتل الاقتصادي العربي لمواجهة التكتلات العالمية، ووضع أسس للدخول في النظام العالمي الجديد لتتشكل قوة متكاملة في الأنشطة الإنسانية العالمية. وشددت على أهمية التعاون العربي المستقبلي والاهتمام برأس المال البشري باعتباره رأس مال الأمة. ونادت أم العز بضرورة ابتعاد الدول عن رسم الطريق في كافة الدول العربية لكي تتمكن الأمة العربية من الاتجاه للعروبة.

وتناول سعيد عبد الله حارب، العلاقات العربية العربية، مؤكداً أنها تحتاج إلى مراجعة خاصة مع تبدل العديد من المفاهيم والأوضاع في المنطقة، وبالأخص بعد انتهاء الحرب الباردة وحالياً بعد الحروب التي تهدد المنطقة. وانتقد حارب عدم وجود موقف عربي موحد وتأثير العلاقات الخارجية على علاقات الدول العربية، وعدم وجود الاستقلال السياسي.

وأشار إلى خطورة التدخل الإيراني في غياب تأثير الدول العربية في القضايا الخطيرة، وانتقد عدم وجود تصور عربي حول العلاقات مع إيران. وألمح إلى تزايد الدور التركي ووجوده بقوة، لافتاً إلى أهمية تبدل النظرة لها. كما تطرق حارب إلى الحرب الأخيرة مع الحوثيين وانسحاب الدول العربية من حل الخلافات والمشاكل العربية مما يعطي فرص قوية للتدخلات الغربية. ونادى بأهمية الدور المصري والسعودي في الوطن العربي باعتبار كلا من الدولتين يمثل أهمية وقيمة في المنطقة.

ورأى أن القضية الفلسطينية أصبحت تفرق العرب ولم تعد تجمعهم كما كانت دائماً، وقال حالياً أصبحنا في موقف ضعف ونطالب فقط بالسلام ولم يعد السلام في مقابل الأرض، وعلينا أن نبحث عن الحلول البديلة.

فيما أكد علي الدين هلال، على حالة التردي التي يعاني منها الوطن العربي لافتً إلى أن الثقافة هي الحلقة التي تجمعنا وهي التي نعول عليها في أوقات التراجع. وأكد أن الصراعات الداخلية والحروب الأهلية هي أخطر ما يهدد الوطن العربي، ولفت إلى الاختراق الأمريكي للوطن وبالأخص بعد مناداتها بفكرة حماية الحدود لمراقبة الحدود براً وبحراً وجواً.

وعاب هلال على بعض الدول احتفاءها بوجود القواعد العسكرية على أراضيها، واعتبر ذلك نوع من الاحتلال العسكري غير المباشر. وانتقد غياب الرؤية الشاملة العربية وانحدار ردود الأفعال وهوانها. وأكد على أنه لا يوجد مستقبل لدولة عربية منعزل عن مستقبل دول الجوار لذا يجب أن يتم التحرك بشكل جماعي وفي إطار رؤية شاملة. وأجمع المشاركون في هذه الجلسة على أن ما يجمع بين العرب أكثر مما يفرقهم، وأهم ما يجمعهم التاريخ المشترك والثقافة والحضارة العربية.

وناقشت الجلسة الثانية في محور الوضع الإقليمي العربي تأثير العلاقات الإقليمية على مستوى الحوار الداخلي، وأدارها يحيى الجمل وتحدث فيها باسم الجنابي من العراق، مشيراً فيها إلى خطورة الطائفية التي تنهش في جسد الوطن العربي، وانتقد الصراعات التي تنشب ما بين الدول العربية وبعضها والانقسام الحاد داخل النظم العربية ما سيدفعها للانهيار. وتطرق للمشهد اللبناني والفلسطيني والسوداني والصومالي مشيراً إلى انتهاء الدور الإقليمي الغير عربي على حساب الروابط العربية. وحول المشهد العراقي أكد أن ذلك التدخل يثر القلق والمخاوف ويطرح تساؤلاً حول من سيحكم العراق؟. وأوصى بأهمية البحث عن آلية لوقف التدخلات الإيرانية في شئون الدول العربية ومحاولة وقف المشروع الصهيوني في المنطقة.

وتحدث حيدر إبراهيم عن تأثير العلاقات الإقليمية على حالة النزاعات الداخلية في السودان، وأعلن أن الدول العربية بدأت تستفيق في حين أن السودان سينقسم فعلياً في يناير المقبل وسيصبح الجنوب مستقلاً. ورفض تعليق كل اللوم على المؤامرات الخارجية مؤكداً أن العامل الذاتي له دور كبير. وأشار إلى أن التدخلات نتيجة للتفكك الداخلي ولام على الجامعة العربية ضعف دورها.

وأكد أن مصر كانت تملك كل الأوراق لحل المشكلة السودانية، لكنها توقفت عن الدور، كما أكد أن السودان عجز عن استغلال موقعة الاستراتيجي في أفريقيا. وألمح إلى أن الدور السوداني في أفريقيا أصبح مهمشاً بعد أن كانت الثقافة السودانية لها دور كبير في أفريقيا.

و قارب عبد الوهاب بدرخان، مستوى غياب الإرادة الوطنية في لبنان والسودان وفلسطين والعراق، لافتاً إلى أنها حالات تستحق الدراسة. وأكد على خطورة وجود انقسامات حول مواجهة إسرائيل والفرقة التي تحوم حول العرب. وأشار إلى خطورة عدم استقرار الأوضاع في الدول العربية في ظل غياب الكيان العربي. والمح إلى وجود حملات غربية لوقف الوضع العربي على ما هو عليه وأكد أن هذه القوى الخفية تحاول دعم استمرار غياب الديمقراطية وهو الوضع الذي يجعل إسرائيل في وضع جيد.

أما موضوع " دور الإعلام العربي في الخلافات العربية –العربية" والذي أداره كرم جبر، وأثار فيها جلال نصار مشكلة غياب الوسائل الإعلامية التي تمثل الأمة العربية ونبه إلى عدم اهتمام الفضائيات بما يحدث داخل البلاد التي تنتمي إليها وألمح إلى أنها تتحرك وفقاً لأنظمة التي تحدد الاتجاهات الخاصة بها. وتطرق إلى دور وسائل الإعلام الحديثة في كشف خداع بعض الفضائيات في ظل عدم استقلالها.

وانتقد زهير قصيباتي تبادل الشتائم باسم السجال في الصحافة والفضائيات حيث أن العالم العربي الآن يعيش حقبة الانهيارات التي يحاول بعض الحكام حجبها تحت ستار المصالحات، مسلطا الضوء على غياب المهنية في وسائل الإعلام وغياب معايير الموضوعية واستغلال منصة الإعلام الحديث عبر الانترنت لتشويه الوحدة العربية وما بقي منها.

وانتقد قصيباتي كذلك هيمنة اللغة الطائفية والشوفينية على كثير من وسائل الإعلام. وأكد أن هناك وسائل إعلامية تتعمد تغييب الحقائق والوقائع وإشعال الحروب الأيديولوجية مشيراً إلى أن الغالب هو استخدام التكهنات والإشاعات. وطالب بضرورة وجود ميثاق شرف إعلامي يتحكم في لغة الشتات ويحتكم للغة العقل وميزان الثبات والمصداقية.

وانتقد المشاركون في الجلسة سلبية الدور الإعلامي والحملات الوهمية التي يقودها البعض للتفرقة، وطالبوا الإعلاميين الأكفاء بالوقوف في وجه الإعلام المحرض. وعبر الجلسات الثلاثة تمت بلورة عدد من السمات الأساسية المميزة للدول العربية في الفترة الراهنة من أبرزها: عدم وجود موقف عربي موحد، معاناة الدول العربية من التفتيت الداخلي، حالة التبعية التي تعيشها معظم الدول العربية، الإساءة للآخر. كما أجمع المشاركون على وجود أولوية الاعتبارات القطرية على الصالح العربي العام. كما انتقد المشاركون الخلل الجسيم في العمل العربي المشترك.

وعاب المشاركون على قادة الوطن العربي التهاون في مسألة الاختراق الخارجي للشئون الداخلية. واتهموا الدول العربية بالفشل في إدارة الأزمات. وأكد البعض على أن الإعلام العربي يعكس صوت الحكومات أو الجهات الممولة له. وألمحوا إلى أن الإعلام يعمل على تأجيج الخلافات العربية– العربية. وأشارت أصابع الاتهام إلى الإعلام العربي باعتباره يسهم في تضليل الرأي العام العربي.

وطالب المشاركون بدعم الديمقراطية وحقوق الإنسان، ودعم التعليم والبحث العلمي، ودعم التكامل الاقتصادي بين الدول العربية، وأوصوا بأهمية تعريف المصلحة القطرية في إطار رؤية عربية اشمل، وطالبوا باستعادة دور جامعة الدول العربية.وأكدوا على ضرورة وضع ميثاق شرف إعلامي يحتكم إلى العقل العربي، وبلورة بيئة تشريعية جديدة للعالم العربي. ووضع قواعد عامة مهنية تحكم الإعلام العربي.